

العادات والتقاليد لدى طوارق الجنوب الجزائري الكبير

الأزياء والحلي التقليدية أنموذجاً

Traditions and customs of the Algerian great South's Twaregs clothing, traditional jewelries as a model.



د. فيروز بن رمضان *

جامعة يحي فارس - المدية

benramdanefairouz@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/26 تاريخ القبول 2022/03/15 تاريخ النشر 2022/05/04



ملخص:

تعالج هذه الدراسة الميدانية، أهمّ العادات والتقاليد لدى الطوارق في جنوبنا الجزائري الكبير، وهي دراسة مستخلصة من التراث المادي و اللامادي، الذي يُعبّر عن أهمّ ظواهر التعبير التقليدي الشعبي في المجتمع التارقي، كونه الإرث الثقافي العام لهم، به يحافظون على تواصلهم و استمرارهم و هويتهم الاجتماعية، مادام منتجاً ثقافياً أفرزته تفاعلات العائلة و حركيتها الدائمة داخل المجتمع، و يتمثل هذا التقليد في الأزياء والحلي، وهي واحدة من أهمّ الموضوعات المُكوّنة للتراث الشعبي في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: التراث، العادات و التقاليد، المجتمع، الطوارق، الهقار، الأزياء و

الحلي التقليدية، الجنوب الجزائري الكبير .

The article is a practical study which deals with the customs and traditions of the Twaregs of the Algerian Great South. The topic refers to the material and immaterial (cultural) patrimony that reflects the most important forms of expressing popular traditions in the Twareg society

* المؤلف المراسل

which represents their cultural heritage through which they could preserve their continuity and identity. This tradition is clothing and traditional jewelries and is one of the most important components of the popular patrimony of the area.

key words: patrimony, customs and traditions, society, Twaregs, Ahaggar, clothing, traditional jewelries, Algeria's great south

مقدمة:

يُعتبر الفلكلور علم دراسة ثقافة الناس، وإرثهم وما ورثوه عن أسلافهم، وينعكس على ممارساتهم الحياتية الثقافية، المادية واللامادية، الذين يجمعهم حيز من المكان، وتوحدتهم ثقافة واحدة مشتركة، وتصبح هي النموذج أو المثل الأعلى، والمنهج الذي يسمحون به، ويقتدون به طوعا حيناً، وكرها حيناً آخر.

ومجتمعتنا الجزائري غني بالتراث الشعبي، الذي يضرب بجذوره إلى أقدم العصور ويتفاعل مع الواقع الحي، ويؤلف وحدة تكاملية تخلق أساساً راسخاً ومتميناً لبناء ثقافي، وصرح حضاري، والتراث الثقافي التقليدي والشعبي بمنطقة الهقار متعدد غزير، له مكانة راقية في أوساط المجتمع التارقي، ويظهر هذا بشكل جلي في عاداته وتقاليده وممارساته الاجتماعية والدينية والاقتصادية التي يصعب التخلي عنها، فنجدها حاضرة في أفراحه وأفراحه ومناسباته اليومية والسنوية.

لذا اتخذت هذه الدراسة من الحلي والأزياء التقليدية بالجنوب الكبير، موضوعاً للبحث باعتبارها إحدى التقاليد الشائعة في المجتمع التارقي، وسوف نحاول رصد الأزياء التقليدية، الأثوية والرجالية لدى طوارق جنوبنا الكبير، وكذا الأمر يماثله بالنسبة للحلي، من خلال التطرق إلى مواد استخدامها ومسمياتها، والغرض من ذلك تحقيق فهم أفضل لهذه الشريحة التي غابت عن الكثير من الدراسات التحليلية.

فما هي الموروثات الشعبية والثقافية الرائجة في المجتمع التارقي؟ وما الخصوصية التي تميز أزياء وحلي هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات؟

وقبل الإجابة عن هذه التساؤلات، نريد إدراج بعض المفاهيم الهامة من أجل فهم أدق لهذه الدراسة، فالمقصود بالمجتمع، " النسق الاجتماعي المكتف بذاته، والمستمر في البقاء بفعل قواه الخاصة، والذي يضم أعضاء من الجنسين (ذكورا وإناثا)، ومن جميع الأعمار، وبالتالي، هو نتاج التفاعل بين الأفراد الذين يُكوّنونه، ويضبطهم جسد من التقاليد والرموز تتجلى أثناء عمليات التفاعل والضبط"¹.

والثقافة، صفة إنسانية، ومحصلة معرفية واعية، تنتقل من جيل إلى آخر، " وتجمع بين الأصالة والمعاصرة، ما بين التراث والمأثور، ما بين عراقة الماضي وتقاليده، والبقاء والحياة بين الباس، بحيث لا تتعارض المدنية الحديثة، والأخذ مباحج الحياة المعاصرة مع ثقافة الناس"².

أما البنية الاجتماعية الثقافية التارقية، فمثلها مثل البنية الاجتماعية لشعوب وقبائل الأمم الحضارية الأخرى، تؤكد عليها اللغة المنطوقة والمكتوبة، والمعتقد ونسق القيم، والأثرية المادية كالشواهد الجدارية المقروءة، والحرف والصناعات التقليدية، إلى جانب الفنون وكل ما يشكل ثقافة الناس المتصلة بالممارسات الحياتية اليومية، اللامادية والمادية، إذ أنّ " الثقافة كلّ متجانس ومتكامل، تتلاحم فيه أنا الفرد مع أنا الجماعة جيلا وراء جيل، وعلم الفولكلور مُعنى بدراسة ثقافة الكل لا ثقافة الجزء"³.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على منهج دراسة الحالة، مع إجراء مقابلات وحوارات مع أفراد من عينة المجتمع، لخدمة موضوع البحث، وأيضا الاعتماد على بعض المراجع في نفس المجال.

وأجريت هذه الدراسة على عينة من المجتمع التارقي، وهي منطقة صحراوية قاحلة وعرة جرداء، منها الرملية والحصوية والصخرية، وهذه الأخيرة هي تقريبا أرض الهقار.

المطلب الأول: تحديد مجتمع الدراسة (الميدان):

يُعدّ العمل الميداني من أصعب مراحل جمع ونقل ودراسة المادة الثقافية الشعبية لكونها مُشتتة في أذهان الناس وعبر أمصار عميقة يصعب التوغل فيها. ونعني بمجتمع الدراسة (الميدان)، المنطقة الجغرافية التي تسكنها مجموعة بشرية تُكوّن فيما بينها وحدة اجتماعية متماسكة منذ أمد بعيد، لها خصائصها الثقافية المحلية، وتكوّن هذه الخصائص بتأثير البيئة أو المنطقة الجغرافية، ولها نظامها الاجتماعي والقرابي المؤثر في سلوكات الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم وبين غيرهم، ويتجلى ذلك في عاداتهم وتقاليدهم وجرفهم ومهاراتهم وشفوياتهم وشتى مظاهر حياتهم، وقبل الحديث عن بعض هذه العادات والتقاليد الخاصة بمنطقة الهقار، وجب علينا التعريف بالمنطقة، وإعطاء مفهوم عام للنظام السائد هناك.

إن أراضي الجزائر في الجنوب عبارة عن صحراء قاحلة وعرة جرداء، منها الرملية والحصوية والصخرية، وهذه الأخيرة هي تقريبا أرض الهقار، والتي تقع في الجنوب الشرقي الجزائري، وهي التي ذكرها محمد السويدي نقلا عن ابن بطوطة قائلا: "وصلنا إلى بلاد الهقار، وهم طائفة من البربر المثلثون... وكان وصولنا إلى بلادهم في شهر رمضان... وسرنا في بلاد الهقار شهرا، وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعرة".⁴

فلكيا، تقع الهقار وسط الصحراء مابين خطي طول 1° و 18° شرقا و خطي عرض 19° و 27° شمالا، وهي عبارة عن مرتفعات بركانية عالية قائمة اللون وصلبة، بارزة للعيان، محاطة بالرمال الكثيفة في أغلب نواحيها أو جهاتها⁵، تبلغ مساحة أراضيها 480.000 كلم، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمسافة 2000 كلم، يحدها من الشمال الغربي تديكلت و عين صالح، ومن الشمال الشرقي مرتفعات الطاسيلي ناجر وجانت، و من الغرب تنزروفت ومن الجنوب عين قزام.⁶

مناخها صحراوي جاف قليل الأمطار، حيث تتساقط مرة إلى مرتين كل عشر سنوات صيفا وخريفا، بنسبة تتراوح ما بين 20 إلى 30 ملم، مُحدثة فياضانات، اما

صيفها فهو منعش مقارنة مع واحات عين صالح وتديكلت نظرا لوجود المرتفعات المعروفة باسم الأطاكور، والتي تعمل على جلب الرطوبة وتعديل الجو، وبها أعلى قمة جبلية تسمى تاهات والتي يصل ارتفاعها إلى 2918 م، ثم تليها قمة الأسكريم وقمة إيّلْمَن⁷. وهذه المرتفعات صخورها بركانية، تنحدر منها أودية في اتجاهات مختلفة كوادي تمنغاست ووادي أغرغار، ومن سهولها نجد سهل أمدغور شمال الهقار⁸.

لقد اهتم العلماء والرحالة الفرنسيون بمعرفة و دراسة النظام القبلي عند طوارق الهقار، خاصة وأنه يضم عناصر و أجناس و فئات سكانية مختلفة ومتباينة، من خلال نشاطاتهم المتنوعة، ومن بين هؤلاء الباحثين الفرنسيين نذكر فولي (FOLEY)، و برنار (BERNARD) و جرفان (GREVIN) و لهوت (LHOTE) و دوفيري (DUVEYRIER) و رين (RINN) و بيسال (BISSUEL) و بلانقيمون (BLANGUEMON) وغيرهم كثير، وقد اعتبروا ان الطوارق مجتمع طبقي يسوده النظام الإقطاعي، حيث تتوزع هذه الفئات حسب بنيات و تراتبية الهرم الاجتماعي في مجتمعهم.

يتوزع الطوارق " على خمسة من البلدان الأفريقية، وهي: الجزائر، ليبيا، مالي، النيجر، و بوركينا فاسو، و يقسمون إلى طوارق شماليين (طوارق الشمال)، ويقصد بهم المتواجدين ببلدان شمال أفريقيا، أي الجزائر وليبيا، وطوارق الجنوب المتواجدين في بلدان الساحل الإفريقي: النيجر ومالي وبوركينا فاسو"⁹، وبالمعنى الدقيق، هم متواجدون حاليا في مناطق متباعدة، وهذه المناطق ماهي إلا البقية الباقية من أوطان أوسع كان يسيطر عليها الطوارق، ولعل التفسير الأقرب إلى الواقع لهذا التوزيع حاليا، حينما أخذ الجذب سبيله إلى الجهات الصحراوية، أخذت بطون منهم في النزوح إلى الجنوب، ملتجئة إلى إقليم السفانا بالقرب من تمبوكتو وما يليها من مالي والنيجر.¹⁰

المطلب الثاني: النظام الاجتماعي الخاص بالطوارق:

الطوارق ثقافة ممتدة على أراضٍ شاسعة، وهم قبائل شتى، تشكل عنصرا مهما في الأمة الأمازيغية التي تستوطن الصحراء الكبرى، في جنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر، وجنوب غرب ليبيا، وشمال بوركينا فاسو. وشرق تشاد، وجنوب غرب موريتانيا، وصولا إلى السودان، يقول مداني عامر في هذا الصدد: "الطوارق هم أولئك الذين وقع بشأنهم إجماع معظم مؤرخي الشمال الأفريقي بأنهم منحدرون من سلالة الجذر الأمازيغي الذي سكن أسلافه منذ أحقاب طوال الوطن الممتد من صحراء ليبيا إلى المحيط الأطلس ومن البحر الأبيض المتوسط إلى حوض السينغال والنيجر، فتاريخهم عريق جدا في غضون السلالات البشرية."¹¹

ورغم امتدادهم على أراضٍ شاسعة، إلا أنه لم يكن لهم نظام يجمعهم، وقد ذكر القشاط ذلك في قوله: "لم يكن للتوارق على مدى التاريخ نظام سياسي، ولم تقد لهم أية دولة متعارف عليها كغيرها من الدول، إذا ما استثنينا دولة المرابطين "الملثمون"، التي قامت في القرن الثاني الهجري/ العاشر الميلادي، واستمرت إلى القرن السابع الهجري / الخامس عشر الميلادي (...)، غير أنهم في صحرائهم جعلوا لأنفسهم نظاما سياسيا تعارفوا عليه، وحافظوا على نواحيه و احتراموه فيما بينهم على مدى التاريخ، و إذا ما حاول أحد المساس بهذا النظام و التنظيم، و حاول الخروج عنه، قاموا إليه و أرجعوه إليه بالقوة في حروب محلية تقوم وتخدم بين الفينة و الأخرى، وسمى التوارق مناطقهم بسلطنات يرأسها سلطان، يختارونه لذلك من بينهم"¹²

وللطوارق نظام اجتماعي خاص بهم، "تضبطه قواعد العرف بين جميع أفراد المجتمع، وتسند الزعامة فيه إلى رئيس يُعرف ب **أمونوكال - Amonokal**، وينحدر من إحدى القبائل الشريفة، ونظريا هو رئيس اتحاد كل القبائل التارقية، لكن عمليا لا يحكم إلا قبيلته وبعض القبائل الشريفة المعروفة محليا ب **أهقارن**، أما العبيد المعروفون ب **الأمغاد**، يترأسهم كبيرهم المعروف محليا ب **أمغار**"¹³.

المطلب الثاني: العادات و التقاليد المرتبطة بالأزياء و الحلي التقليدية:

ارتبطت العادات و التقاليد، ونظّل ترتبط، بدورة الحياة، فليس ثمة زمن من أزمنة حياة الإنسان (في الجماعة الشعبية) حتى قبل أن يقلد إلا نجده قد ارتبط بعادة تحرص عليها الجماعة أو تلتزم بها، عليها بمعنى أدق " تُلزم نفسها بها، وتطلق بعض المجتمعات على القانون العُربي- وهو سلطة حاسمة قاطعة في حكم و تنظيم شؤون وعلاقات أفراد هذه المجتمعات- مصطلح " عوايد"، ولئن كانت العادات في بعض جوانبها خالصة إلى معاني و أحكام القانون بمعناه الاصطلاحي، المحدد في التشريع والحكم و النظم الرسمية، فإنّ العادات جميعها هي قانون من قوانين الجماعة الشعبية، تسيج بها عالمها، وتناغم بين علاقاته تنظيمها لها وضبطا وتوثيقا لعرافها و تمتينها"¹⁴.

والعادات الشعبية ملتزمة بالقيم، ونابعة منها، عاكسة لها على هيئة تجليات سلوكية، إذ تعتبر جنسا من أجناس الثقافة الشعبية، و"يتخذ من جنس الفنون الشعبية مجلى من أهم المجالى التي تجسدها أو تشخصها، وتكشف عن مراميها و دلالتها و رموزها، كاتخاذ الأشكال و الألوان في الأزياء و الحلي التقليدية ما يتوزع على أنواع جنس الفنون، بما تقوم عليه هذه الصور الإبداعية من خصائص و سمات نوعية مميزة له عن غيره من الموروثات المادية"¹⁵.

الفرع الأول: الأزياء التقليدية التارقية:

تحتل الأزياء والحلي التقليدية في الثقافة الشعبية التارقية مكانة خاصة، هذه المكانة التي تؤهل العادات والتقاليد و المعتقدات المتعلقة بإعدادها "للتعبير الدقيق عن ملامح هامة لأفراد المجتمع التارقي، حيث يتجلى من خلالها ذلك التمييز والخصوصية التي ينفرد بها هذا المجتمع مقارنة بغيره من المجتمعات"¹⁶، وقد يعود ذلك إلى احتفاظ الأزياء والحلي التقليدية بمكانتها تلك على مرّ العصور التاريخية.

تعتبر الأزياء من أهم ظواهر التعبير التقليدي الشعبي للمجتمعات، وهي تقوم على عنصر الإبداع و التقليد، وترتبط مع الحركات النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية وحتى السياسية، حيث تبنتها الطبقات الاجتماعية تماما كما تبنت غيرها من المجالات و الفنون التشكيلية الأخرى، باعتبارها وسيلة للتعبير عن مكونات النفس و عن علاقة الفرد بمجتمعه، عن طريق اختياره للملابس والألوان و القماش، زمن ثمت غدت أول مفتاح لشخصية الأمة و حضارتها، وتكمن أهميتها في كونها خطابا ثقافيا هاما يجسد الثقافة، و يوصل كما هائلا من المعلومات عن رموزها، " فالزي يعكس جماليات المجتمع و أخلاقياته، وقيمته السائدة خاصة ما يتعلق منها بالاحتشام والتخفي او اللإحتشام والسفور، إلى جانب حليها والنقوش التي تزينها، وكلها إشارات تعكس المكانة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، كما أنه يمكن الاستدلال من خلالها على الانتماء الطبقي و طبيعة العمل، والجنس والعمر، والبيئة الجغرافية و العزلة أو الاتصال بين الشعوب والثقافات"¹⁷.

ظلت الأزياء إلى جانب وظائفها في الستر والوقاية من حر الصيف و قر الشتاء، جزء لا يتجزأ من متطلبات الإنسان، لأنه مرتبط بالقيم الجمالية عند الشعوب والحضارات وحتى في المجتمعات البدائية أو كما يقال لإنسان ما قبل التاريخ. و قد تفرّد الإنسان التارقي بهذا المتطلب في شكله ولونه و طريقة لبسه، الأمر الذي جعله يستحوذ على إعجاب الجميع، لأنهم وفي الغالب يميلون في اختياراتهم للالوان، إلى اللون الترابي القريب من البيئة التي يسكنون بها، كالبنّي الفاتح الذي يرمز لرمال الصحراء، و الأزرق السماوي الذي يرمز للسماء والسكينة والهدوء، فالإنسان التارقي اختار أن يمثل الصحراء بزيه و يعبر عنها تعبيرا رمزيا يعكس حبه و درايته بالبيئة المحيطة به.

ولوضع الرجال للثام أسطورة تحكي سبب ذلك، حيث يقال: " أنّ قوما من لمتونة خرجوا للغزو، فخالفهم عدوّ آخر إلى مضاربهم، ولم يكن بها غير الأطفال والنساء،

فأشار الشيوخ على النساء بالتلثم وحمل السلام لإرهاب العدو، ففعلن، فظنّهم العدو رجالا مسلحين، فساق الأنعام من المراعي، وعدل عن غزو المضارب، حتى أدركه رجال القوم، فحاربوه وطردوه، ومنذ ذلك العصر، اتخذت لمتونة اللثام سنّة للتبرّك به، أي جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب، فلا يزيلونه ليلا أو نهارا¹⁸.

يتنوع اللباس حسب الجنس والسن، ففي سن الطفولة سواء للبنات أو الولد، يُلبس لباس خاص بتلك الفترة، أما في مرحلة الشباب عند كلا الجنسين، فيُلبس لباس خاص بفترة البلوغ، فأطفال الطوارق يلبسون لباسا يتكون من قميص واسع الطرفين، تشبه القطعة من القماش التي تكون مشقوقة في الوسط ومربوطة من الجانبين، حتى يدخل الولد رأسه في الشق ويخرج يديه من الجانبين الواسعين، وعندما يبلغ الشاب سن البلوغ، يلبسونه عمامة في حفل بهيج، ويستر وجهه بلثام كما يفعل الرجال الكبار، و يلبس قميصا واسعا يسمى بـ " الدرّاعة "، مطرزة الجيب، و أحيانا يلبس أكثر من قميص، يكون أحدهما أزرق مغمس بالنيلة التي تترك أثرا على جسم الإنسان، كما يلبس عمامتين أحدهما زرقاء و الأخرى بيضاء، و يلبس سروالا فضفاضاً يتدلى حجره إلى الركبتين، و مداسا في قدميه مصنوع من جلد البعير، ويتحلى في الأغلب بخنجر أو سيف ينجر على الرمل، و يتفننون في تزيين مقابض سيوفهم و أغشيتها، وقد يرصع مقبض السيف بالفضة و الذهب و الأحجار الكريمة، وتنحت عليه أسماء مالكيه.

وقد يزين زنده بسوار من العاج أو المعدن حاد الطرف الخارجي، يستخدمه في الضغط على رقبة الخصم عند النزاع، أو الشجار و التماسك بالأيدي، و يعلق على صدره مجموعة من التعاويذ الجلدية و المعدنية تكون مربوطة بخيط، وتعلق على الرقبة، ومهمتها حفظه من العين و الأرواح الشريرة¹⁹.

في حين أن البنت تلبس عباءة محتشمة طويلة تنجر على الرمل، إلى أن تبلغ السابعة من العمر، فيلبسونها الملحفة التي تلبسها نساء الطوارق، والمسماة بـ " تيسغنست "، وتترك وجهها عاريا دون لثام، و تظفر شعرها بطريقة جميلة.

• مكونات لباس الرجل التارقي²⁰:

يتكون الزيّ الرجالي من :

- **أَكْرِي (السروال)**: بلونين أبيض و أسود، ويكون فضفاضاً، ضيق عند الساقين، يحوي مزلاقاً على مستوى الخصر، يساعد على شده بواسطة حزام من الجلد مظفر يسمى " **تَامَنْلَت** " (تاملت نكري)، كما يرفق بزي الرجل حافظة من الجلد، توضع تحت اللباس، ويحتفظ فيها بالأشياء الخاصة، تدعى " **التابوك** " أو " **تَغَالِت** "، وهي حافظة مصنوعة من الجلد، مزخرفة بأصباغ خضراء و حمراء تُعلّق على الصدر.

- **إِرْسَوِي (العباءة أو الدراعة أو الضراعة)**: و تصنع عادة من قماش يسمى " **الخنت** " أو " **الطاري** "، أو من قماش أبيض يدعى " **مصمودي** "، وتكون هذه العباءة فضفاضة حول الجانبين، وتحتوي على جيب كبير يخاط على الجهة اليسرى من الصدر.

- **تاقلموست نكوري**: وهي عباءة مشابهة تماماً لـ " **إِرْسَوِي** "، غير أنها تصنع من قماش يُنسج في دول الساحل الإفريقي، وبالضبط في نيجيريا قرب بلدة **كانو**، ويتشكل هذا الثوب من شرائط صغيرة بعرض سنتيمتر واحد، و يُلبس عادة أيام الأفراح، و يوضع على الكتفين.

- **اللثام**: عرف اللثام منذ مئات السنين، فهو معيار من معايير الرجولة والشهامة والجمال، و هو من يحدد موقع الرجل التارقي الاجتماعي داخل قبيلته و عشيرته.

ينقسم اللثام إلى قطعتين اثنتين، تكون القطعة الأولى بيضاء من القطن، في حين تكون القطعة الثانية زرقاء من النيلة، وتوضع العمامة بطريقة خاصة على حسب الطول و

عرض معين لتغطية الرأس والفم تماما، بحيث لا تبقى سوى العينان، ويمكن تقسيم اللثام إلى نوعين هما:

-**الاشو:** و هو قطعة من القماش تتكون من أشرطة تتكون من أشرطة عريضة، كل شريط يصل إلى حوالي 3 سم، أزرق اللون نيلي، يحاط بعضها إلى بعض، ويلبسه الأغنياء أثناء الاحتفالات والمناسبات الدينية لغلاء ثمنه قديما، عكس الوقت الحالي أين بات في متناول الجميع، و يتكون أثناء ارتدائه من 60 طية .

-**بوكار:** و هو الشاش الذي يُلبس في سائر الأيام العادية، و يصنع من الخنت ، و له لوان ابيض او أسود، و يُلف بطرق عديدة حسب رغبة الشخص.

-**تَكْوَارْت:** وهو عبارة عن قطعة قماش من **الاشو** توضع فوق **أرسوي** الأبيض في المناسبات.

-**الراقي:** وهي عباءة مصنوعة من خامة كتانية راقية، تحتوي على جيب في جهة اليمين، ومطرزة في جهة اليسار بطرز هندسي مزخرف، وبألوان متنوعة منها: الأبيض و الأحمر و الأخضر، و الأسود والبني على شكل شرائط ، يلبسها الملوك و الأغنياء، كما تلبس في الأعراس و المناسبات. وهذا النوع من اللباس نادر جدا إلا ماكان متوارثا عن الأجداد.

-**تفروق:** (**إِعْتَمَنَ**)وهو عبارة عن حذاء من الجلد،يلبس في حالة السفر و يغطي الرجل بأكمله.

-**إِمْرَكَدَن:** و هو نوع من الأحذية، الجزء السفلي منه مصنوع من الجلد، أما العلوي فهو عبارة عن شرائط جلدية تثبت بها الرجل.

-**تَمَبَه:** وهي نعال بيضاء اللون، مزخرفة، تلبس في المناسبات و الأعياد، تخص الرجل و المرأة على السواء.

● **مكونات لباس المرأة التارقية²¹:**

يتكون زيّ المرأة من:

-إِرْسَوِيّ: و هو عبارة عن عباءة فضفاضة بأكمام صغيرة واسعة مصنوعة من أقمشة متنوعة كالزيبق و الخنت و الحرير، و تبركات و الصوف، و يلبس تحته فستان من قماش الشلاكي، و هذا النوع كان من لباس النبلاء.

-أَحْبَاي: وهو عبارة عن عباءة فضفاضة عريضة زرقاء اللون، أ و خضراء، و أخرى بيضاء، عرضها حوالي 2.20 سم، و طولها 1.40 سم، وتحاط بعد تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء، ثم يُوصل بينهما بخيط، وهذا النوع من العباءات مخصص للمرأة المتزوجة فقط.

-تِسْغُنْسْت: وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة غالية الثمن يصل طولها إلى 15 متر، تلفها المرأة حول نفسها، أو جسدها بالكامل، بما في ذلك الرأس، تلبس في المناسبات و الأعياد، أما في سائر الأيام فتؤخذ من أقمشة عادية معقولة السعر، و هو اللباس الأشهر و الأكثر ظهورا عند نساء الطوارق،

-آفَر: و هو عبارة عن قماش أقل من تسغنست، يوضع فوق إِرْسَوِيّ، يغطي الرأس و جزء من الجسم، أسود اللون في الغالب، وتتغير خامة القماش حسب المناسبات، كالتطاري الذي يلبس في الأعياد والمناسبات الخاصة.

-أَغْرَهِي: وهي عبارة عن قطعة قماش يتراوح طولها المترين، مصنوعة من النيلة أو التطاري، وتلبس فوق الرأس في الاحتفالات أو الأعياد.

-تشريبت: وهي الوشاح (المنديل) الذي يلبس في سائر الأيام ويكون مصنوعا من قماش يسمى الترفال أو الشلاكي.

-الحولي(أخولين): وهو قطعة من قماش الكاري مطرز في الظهر.

-بازان: وهو عبارة عن عباءة طويلة و ضيقة، مطرزة في الرقبة و الصدر واليدين والرجلين، مصنوعة من قماش يسمى " الديمي " وتُلبس معها خراطة طويلة مصنوعة

من قماش النيلة، و هو متوفر في جميع الألوان، إلا أن هذه العباءة تكون في الأزرق أو البني أو العنابي.

الفرع الثاني: الحلي التقليدية التارقية:

ومن أهم ظواهر التعبير التقليدي الشعبي للمجتمعات أيضا، نجد الصناعات التقليدية، والتي تعتبر جزء مهما في الحياة الثقافية الفنية المادية ضمن تراث المجتمعات الشعبية، التي مارسها الإنسان ولا يزال يمارسها كحرفة تقليدية ناتجة عن مهاراته الفنية و قدراته الإبداعية، ومن بين هذه الحرف التي دفعته للمزاوجة بين قابلية الفعل و العمل و تصور الذكاء الخارق من خلال استغلاله الأمثل لخامات البيئة، و بابتكاره لأدوات ساعدته على تقنيات التصنيع التي مكنته من صنع ما تتزين به المرأة من حلي و مصوغات فضية بسيطة، و صغيرة الشكل، مزخرفة ومنقوشة بنقوش هندسية رائعة، وهؤلاء الحرفيون يسمون عند الطوارق بـ " إينّضن " (الحدادون).

يمكن أن نميز الحلي الصحراوية من حيث تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين تتمثلان في:

- مجموعة تخص جبال الصحراء الوسطى (الهقار، تاسيلي ناجر)، وترتبط هذه الصناعة بالتقاليد المتعلقة بصناعة الحلي و الجواهر الخاصة بالطوارق، و يستعملون فيها تقنيات القوبلة والحز والدمغ.

- مجموعة تخص منطقة الواحات (القرارة، توات، تديكلت)، وهي ترتبط بنمط الحلي الموريتانية والمغربية، ويستعملون فيها زخارف النافر، لشبكية و الوشمي.

ومن بين الحلي التي تنفرد بها المرأة التارقية نذكر مايلي²²:

- **تيرَوات (ترويت):** و هي عبارة عن قلادة تارقية عريقة خالصة، توضع في العنق و تتدلى على الصدر، تتكون من ستة مثلثات، خمس منها متصلة بمثلث كبير، تلبس في المناسبات و الأعياد، وتعتبر فخر المرأة التارقية منذ القدم، وفيها نوعان:

- **تِيرَاوَت تان تشاتشات:** وهي عبارة عن حلية تتكون من ثلاثة مثلثات الواحدة فوق الأخرى، وتنتهي القاعدة بمثلثات صغيرة و رقيقة تشبه في شكلها الأقراط، تعلق على الشعر فوق الاذن، وهي بمثابة تميمة تقي المرأة التارقية من الأرواح الشريرة، و لها دلالة رمزية لعناصر الحياة المهمة : الماء و النار والهواء.

- **تِيرَاوَت وان أَرْزَف:** وهي حلية مستطيلة الشكل، مصنوعة من الفضة الخالصة و أحيانا يدمج معها النحاس، مزينة بأشكال هندسية ، تعلق على الشعر أيضا، و تعتبر كحجاب طارد للأرواح الشريرة والسحر والشعوذة، استعملها الطوارق قديما كنوع من التمايم تعلق كل يوم في رقابهم، و إذا احتوت على آيات قرآنية تتميز عن تيراوت (التيممة)، وهذا النوع يسمى **تمقروت**، أما الان فهي من حلي الزينة تلبسها النساء فقط.

- **أهَبَق (أَحَبَق):** وهي عبارة عن شكل دائري مزخرف بأشكال كلاسيكية من الفن التارقي، وهي ما يسمى بالأساور، و تغلق هذه الاساور بعمود رقيق يدخل في فوهة توجد نهاية الإسورة وتلبسها النساء المتزوجات فقط.

- **إفاقن:** و هو سوار من الفضة المقلوبة، مزخرف بأشكال كلاسيكية، يتخذ شكل سوار " تيوكاون " المصنوع من الحجر الأسود الذي كان المحاربون القدماء يلبسونه فوق المرفق ليخنفوا به ضحيتهم، و تغلق هذه الاسورة بعمود رقيق يدخل في فوهة توجد بنهايتها.

- **تيزيبتين (أحبيقان أوين أدكار):** وهو عبارة عن قرط تارقي يبلغ محيطه 8 سم، لا بلبس في الأذن و إنما يوضع مشدودا إلى الضفائر، له شكل مسطح يحمل رسومات معمولة بالإنزيميل، ينتهي أحد أطرافه بخيط معدني ملوي على شكل عقدة، بينما يبقى الطرف الآخر منحنيا.

- **تَمَزَيَاتِين:** وهي أقراط مصنوعة من الفضة، دائرية الشكل، أو هي عبارة عن هلاليات متصل بعضها ببعض، أو تكون على شكل دمعة، وتكون مزخرفة بطريقة الدمغ، وتنتهي هذه النوعية من الاقراط بسلك رفيع يدخل في الأذن.

- **أَسَاوَر وان أَسَوِيل:** وهو عبارة عن مفتاح خمار، يُلبس مربوطا إلى هذب الخمار (أسويل)، و يُصنع من النحاس الأحمر و الأصفر، وكان في الأصل مفتاحا حقيقيا يستعمل للفتح والغلق، وله ميزة شد الخمار أثناء العواصف الرملية لثقله.

- **خَوْمَيْسَة:** وهي عبارة عن قطعة متكونة من خمس مُعَيّنات، وفي رأسها مثلث كبير تنحدر منه تلك المعينات²³، مزخرفة بطريقة الحز على حواف المعينات، مع تقنية الحبيبات في الوسط، تعلق بخيط مصنوع من الجلد و توضع على الرقبة، وفي اعتقادهم أنها تقي من العين والسحر. وهي حلية محمودة عند الطوارق عموما.

- **الخواتم:** و هي مصنوعة من الفضة المقلوبة، لها أشكال عديدة و تتغير حسب التطور و العصرنة والحداثة، يلبسها الرجال و النساء على السواء، أما من ناحية الشكل، فمنها الدائرية التي يعلوها مخروط، ومنها المحدبة و المقببة.

خاتمة:

- كانت الثقافة من أهم أدوات الجماعة الشعبية في عاداتها وتقاليدها، حيث سعت إلى أن تكون النمط السائد في المجتمع، فهذه الجماعة الشعبية لها ميكانيزمات دفاعها التي توفرت عليها خلال صراع طويل مع واقع محدد، وهذا الصراع الطويل هو المحور الأساس الذي أكسبها سمات الجماعة الشعبية بالمقومات الخاصة التي تميز الجماعة الشعبية، ومن خلالها وصلنا السجل الحافل بالمواقف والخبرات والتجارب التي مرّت على أفراد هذا المجتمع، لنطلع عليه و لنزداد ثقافة عن تعابير وعادات وتقاليد المجتمع الصحراوي الجزائري.

- كشفت الأزياء و الحلّي التقليدية جزء من الثقافة المادية، عن التفاعل مع الواقع بأبعاده التاريخية والجغرافية و الاجتماعية والثقافية، فقد كان لموقع المجتمع في البيئة الصحراوية، تأثيره على التمسك بالتقاليد و القيم الإسلامية ومنها الاحتشام والستر.

- حياة إنسان الجماعة الشعبية تنظمها عادات و تقاليد هذه الجماعة، و إن هذه العادات و التقاليد غالبا ما تتخذ من فنون هذه الجماعة وسائط للتجلي، مادامت العادات نسقا من أنساق النظام الذي يقوم عليه وجودها، بما هي جماعة إنسانية في واقع محدد بمحتمياته الفيزيائية و الميتافيزيقية و الطبقية الاجتماعية، وبما هي الجماعة تجادل هذا الواقع وتسعى إلى امتلاكه، و إخضاعه لصالحها بكل الوسائل ومن بينها الفن الشعبي الموازي الرمزي للواقع، كونه يتناص مع ما للجماعة الشعبية من علاقات اجتماعية وثقافية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ أمينة الفردان، الأثني و الموروث الثقافي القروي، دراسة إثنوجرافية في قرية بحرينية، كركان أنموذجا، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث و النشر، المنامة، مملكة البحرين، 2015، ص 14.
- ² شكري عطارد، نظرات في الثقافة الشعبية، شركة الأمل للطباعة و النشر، القاهرة، 2013، ص 49.
- ³ المرجع نفسه، ص 49.
- ⁴ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات و التغيير، دراسة سوسولوجية انتروبولوجية في التغيير الاجتماعي، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص 75.
- ⁵ إبراهيم العيد بشّي، أهم مصادر تاريخ منطقة التاسيلي-ناجر القديمة، دراسة مختصرة لأهم مصادر تاريخ منطقة التاسيلي-ناجر القديمة، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 12.
- ⁶ Claude Blanguemon, Le Hoggar, Arthaud, Paris, 1955, p p 19-26
- ⁷ Henri Duveyrier, Les Touareg du Nord, Editeur Challamel Ainé, Paris, 1964, pp 39-41
- ⁸ Hneri Lhote. Les Touaregs du Hoggar, Edition Payot, Paris, 1955, pp 31-33
- ⁹ مريم بوزيد سبابو، الجامعيون الطوارق، نحو تكريس المؤسسات التقليدية أو إصلاحها، مجلة التغيير الاجتماعي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر التغيير الاجتماعي و العلاقات العامة في الجزائر، 2017، ص ص 449-460.

- ¹⁰ محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغيير، دراسة سوسيوولوجية أنثروبولوجية في التغيير الاجتماعي، ص 75.
- ¹¹ مداني عامر، التوارق touareg - عائدون لنثور، التينيكتي، منشورات منظمة تاماينوت، دت، دط، ص: 18.
- ¹² محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات و أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا، 1994، ص 39.
- ¹³ إبراهيم العيد بنثي، تاسيلي ناجر، الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الطارقي: قديما وحديث، منشورات الحر، الجزائر، 2009، الجزء الرابع، ص 108.
- ¹⁴ صلاح الراوي، الثقافة الشعبية وأوهام الصفة، إصدارات معهد الشارقة للتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2016، ص 470.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 472.
- ¹⁶ محمد الجوهري و آخرون، دراسات في علم الفولكلور، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، الطبعة الأولى، ص 149.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 353.
- ¹⁸ يوسف بن موسى، لثام التوارق، دراسة أنثروبولوجية و سوسيوولوجية، الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث و النشر، المنامة، مملكة البحرين، 2018، لعدد 41، ص 114.
- ¹⁹ محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ص 78.
- ²⁰ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلي، من كلية الفنون / جامعة المدية 2015/2016، أما بالنسبة لتصحيح الأسماء و شكلها و بعض المعلومات المتعلقة بالمجتمع التارقي، فقد تم الاستيعان ببعض المتخصصين في المجال، اذكر منهم:
- الدكتور بودة العيد، مواليد 1988 ب إليزي، أستاذ بجامعة ورقلة، أعزب.
 - السيد عبد العزيز قاسمي، مواليد 1980 بعين صالح/ تمنراست، صحفي بإذاعة تمنراست الجهوية، متزوج و أب لاربعة أطفال.
- ²¹ تم الاعتماد على الجمع الميداني الذي قامت به الطالبتين: زكين الزهراء و زكين ليلي، من كلية الفنون / جامعة المدية 2015/2016، أما بالنسبة لتصحيح الأسماء و شكلها و بعض المعلومات المتعلقة بالمجتمع التارقي، فقد تم الاستيعان ببعض المتخصصين في المجال، اذكر منهم:
- الدكتور بودة العيد، مواليد 1988 ب إليزي، أستاذ بجامعة ورقلة، أعزب.
 - السيد عبد العزيز قاسمي، مواليد 1980 بعين صالح/ تمنراست، إعلامي بإذاعة تمنراست الجهوية، متزوج و أب لاربعة أطفال.
- ²² وسيلة تامزالي، أبرز وحلي نساء الجزائر، ألفا الجزائر، 2007، ص ص 120-128، بتصرف.

²³ لهذه القلادة أسطورة قديمة مفادها أنه وفي قديم الزمان كانت هنالك خمس قبائل في نزاع دائم و مستمر لا ينتهي أبداً، وفي أحد الأيام و بعدما طال هذا النزاع، تعاهدت تلك القبائل على الصلح، فصنعوا لأنفسهم هذه القلادة المتكونة من خمس معينات، وهي شعار يعبر عن تلك القبائل وهي متصلة ببعضها البعض.